عُرف من نهضته وكفايته وحسن سيرته وامانته. والواجب على الرؤساء والقلاحين اعزّهم الله تعالى سماع كلمته والدخول تحت طاعته فيما (٢٥) يلتمسهُ منهم من استخراج الحقوق السلطانية ومرافقته على ما يطرأ من الخدم الديوانية. ولينذروا من الخلاف فيعود عليهم الحيف والاجحاف. وسيسلكُ ادام الله تاييدهُ الذبّ عنهم وايصال شكاويهم الى النوّاب والمتصرفين والاشحاب بحيث يجرون على عادتهم من غير تحديد رسماً ولا حادث حيف اسساً. والواجب على الولاة والنوّاب المستجدّين والاصحاب اجراء الامير المقدّم ذكرهُ على ما رسمناهُ. والمعتمد على العلامة الكريمة في اعلاهُ ان شاء الله. كُتب في العشر الاوسط من شهر سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧ م)

وهذا التاريخ في ايام الامير مجير الدين ابي سعيد آبق بن جمال الدين محمّد بن تاج الملك بوري بن ظهير الدين طغتكين وهو اتابك الملك دقاق بن تُتُش (١ وولاية آبق المذكور بعد وفاة والده ثامن شعبان سنة اربع وثلاثين وخمسمائة (١١٣٩ م) وكانوا اصحاب دمشق. واستمرّ المذكور بها الى ان اخذها منهُ الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في ثالث صفر سنة تسع واربعين وخمسمائة (١١٥٦ م) وعوّضهُ عنها حمص ثمّ اخذها منهُ وعوّضهُ عنها بالس (٢. ثمّ توجّه آبق الى بغداد. ذكرتُ آبق للعلم بتاريخ المنشور وذكرتُ الملك العادل توطئةً لما يأتي من ذكر مناشير السّلف ان شاء الله لانّ اصحاب دمشق هم الحكّام على بيروت (٣٥) واعمالها والمدينة كانت بيد الفرنج

(ستأتي البقية)

رواية الشقيقتين

(للاب هنري لامنس اليسوعي)

ألا أنعم بالطبيعة والدةً تستدعي في كلّ حال من ابنائها التعجب ولكن تراها في بعض الامور الطف صنعاً منها في غيرها فتاوح من وراء أعمالها يد غالبها المنّان

ومثال ذلك ولادة اختين شقيقتين توأمتين تجمع الطبيعة بينهما في مَوْلج الحياة فتربط منهما الجنان بعلائق شديدة رقيقة وتزرع في قلوبهما منذ نعومة الاظفار عواطف متبادلةً

١) راجع الحاشية السابقة

٢) هي مدينة صغيرة في الشام بين الرَّقّة وحلب

تنمو وتتمكن مع تقدمها بالسن تتراءى لبعضها سندًا وفي كل اطوار الحياة عضدًا تتقاسمان الافراح في السراء والاتراح في الضراء لا ينتقر بينهما الوداد الى ساعة المذون وربما جمع بينهما ضريح واحدٌ الى قيام الساعة

١

لو أُتيح لك أيها القارئ اللبيب ان ترقى منذ بضعة اعوام احدى قمم لبنان ليس بعيدًا عن السابلة المؤدية من بيروت الى دمشق الشام لكنت رأيت على منعطف أكمة في مكان يُعدُّ من اترع مواقع الجبل بيتًا انيق الهيئة لطيف البناء شيَّدهُ المسيو ب. وهو اذ ذاك قنصل عامّ لاحدى الدول الكبرى في سورية لجأ اليهِ مصيفًا يأوي اليهِ مع عائلتهِ فرارًا من لظى قيظ بيروت. وكان جانب من المنزل تحجبهُ اشجار الأزدرخت (الزنزلخت) والصنوبر يتلاعب في اغصانها نسيم الصبا وتغرّد فوق افنانها طيور الربى

اما هندام المسكن فلم يكُ يشبهُ بشيء ما جاورهُ من المساعد الصيفيَّة وانما اراد صاحبهُ ان يجمع فيهِ بين هيئة المصايف السويسريَّة وخواص الدور السوريَّة الحديثة فكان يعلوهُ القرميد الاحمر على شكل مخروط . وفي وسط البناء شُرَف ناتئة مستطيلة (بلكون) لترويح النفس في طرفي النهار

وكان امام البيت سطح واسع الفناء يُشرَف منهُ على منظر بهيّ . فكنتَ ترى على بُعد تَبَجّ البحر الزاخر إذ ترمي عليهِ الشمس اشعَّتها الذهبيَّة او يجيش بامواجهِ فيتنظم لهُ على الساحل سلكٌ من دُرَر الزَّبَد . فهناك مضجعةٌ بيروت وهي اشبه بلكةٍ حسناء ترتفق الى سفح الجبل وتبسط رجليها في غمر البحار بينما تمتطق اعطافها مناطقُ زبرجدٍ صيغت لها من خضرة بساتينها وغابات صنوبرها. ولو كنتَ سرَّحت النظر في الربى القريبة لآنست من لبنان مَشهدًا يروق البحر ويأخذ بمجامع القلب

ففي اليوم الذي بهِ تستهلُّ روايتنا كنت ترى اهل الدار الموصوفة آنفًا يسعون في تهيئة حجرةٍ لاستقبال ضيفٍ شريف على وشك القدوم من بلاد اليونان اسمهُ البارون شرل دي لَيْنس وهو كهلٌ في قوَّة الشباب عمرهُ خمس وثلاثون سنة من ارباب السياسة يتعاطى في عاصمة اليونان امور دولتهِ بهمَّةٍ عليا. وكان شرل ذا اخلاقٍ راضية وعواطف ليِّنة بيد انهُ شديد التحمُّس في الدين يسير على مقتضى مبادئهِ علانيةً دون حياء

وكان المذكور تيتَّم في حداثة سنهِ فتربَّى في حجر احد اعمامهِ وقد ورث من والديهِ اسمًا

شريفًا وثروة طائلة . وكان مع ريعة شبابه ونشاط سنه تائقًا الى الراحة والتخلي من اشغال مهنته المضنكة مستنكفًا من حياة العزلة والتفرد . ومن ثمَّ ما كادت تبلغهُ أركة انفصال المسيو ب . وهو صديقٌ حميم لوالده المرحوم يدعوهُ بها الى مصيفهِ في لبنان حتى اسرع فطلب عطلة شهرين وسلَّم موقتًا اشغالهُ في السفارة بأثينة الى بعض زملائهِ وركب في البيره سفينة المسَّاجري مُمِجرًا الى بيروت

وكان البارون دي لَيْنس كَلِفًا بالاسفار البحريَّة الَّا انَّ سفرتهُ هذه في غُرَّة آب كانت احلى لديهِ واوقع في قلبهِ لصفاء الجوّ ولين النسيم ووفرة المناظر البهجة . وكانت حركة السفينة وهي تمخُرُ في وسط المياه تمثل لهُ حياتهُ السابقة الكثيرة التنقُّل والتقلُّب مع انهُ لم يكد يبلغ سنَّ الكهولة . فكان يقضي الساعات وهو متوكئ على إطار السفينة يفكر في ما طرأ عليهِ من كوارث الزمن وصروف الدهر ويقابل بين عيشتهِ الهنيئة الحالية من الهموم في الوقت الحاضر وحالتهِ امس بين الهواجس والشواغل السياسية فيشكر لأفضال المسيو ب . اذ قرَّب اليهِ نوال الفرصة لترويح البال فلا يعود يسمع ثرثرة اليونان يطنبون تارةً في مديح اجدادهم فيرفعونهم فوق السُّهى ويدَّعون أخرى بالفخر على من سواهم من الشعوب وربَّما طمحوا بالبصر الى التلُّك على بلاد مجاوريهم . فنجا والحمد لله من إبداء رأيهِ في حزب تريكوبيس او الانتصار لدالياني ولا يحتاج ان يثني على توقُّد فهم السيِّدة ....بولو وحسن زي ابنة السيِّد ....بيس وبوجز الكلام ها قد صار حرًّا

وبينما كان شرل خائضًا في بحر هذه الافكار كانت السفينة اجتازت امام رأس سونيوم مواصلة سيرها الى جهة إزمير مارَّة بين عديد جزائر الارخبيل كديلوس وتنكوس التي كانت تظهر في اوَّل ساعات الليل كاجرام عظيمة لا صورة لها تلوح على ساحلها من وقت الى آخر ضياء منائرها لتأخذ السفن حذرها من الصخور . فما كان يُسمع في هدوء الليل غير صوت السفينة وهي تشقُّ المياه وتخطر في سيرها السريع وكان تزل اغلب الركاب يأوون الى مراقدهم . امَّا السماء فكانت رائقة تتلألأ بكواكب كالدراري والبحر يعكس انوارها فيسحر منظرها العقول ويحمل القلوب الى خالقها

الَّا ان هذه المناظر وان كانت تدفع النفس الى التهذيب والتأمل لم تكُ لتشغل عقل البارون عن افكار مختلفة كانت تتجاذبهُ منذ زمن قليل . أجل انَّ رؤية لبنان الذي هو قاصدهُ لشهيَّةٌ بديعة والاجتماع بالاصحاب لَمَوْردُ افراح عذبة صافية ولكن تُرى ماذا يحلُّ بهِ بعد ذلك

والى ايّ طيّةٍ يوجه افكارهُ ليستقرّ بها قرارهُ ويرتع في ظلّ الأمن والراحة. أفيكون سعادة القنصل ب. سبق وتفهّم نيّتهُ فاستدعاهُ ليعرض عليهِ كما فعل غيرهُ كثيرون الاقتران باحدى ابنتهِ ويغريهُ حرّيتهُ بوضع ربقة الزواج في عنقهِ ؟

وما كاد هذا الفكر يخطر ببال البارون حتّى وجم ساكتاً واطرق كاسفاً. ثم قام بعد هنيهة فنزل وهو لا يعي الى المنام وبات ليلتهُ قلقاً يتململ من الهمّ على فراشهِ. ولمّا كان الصباح رقي سطح السفينة فاذا بوجه البحر تجمّد قليلاً وبانت على قرب سواحل كرمانية وجبالها الشاهقة كسوتها اشعّة الشمس الطالعة بجلباب نورٍ وبهاء. الّا انّ هذه المشاهد الشائقة والمناظر الرائقة لم تعمل في قلبهِ وعادت افكار الماء المتصرم فمكّرت صباحهُ وبقي في صُلب يومهِ متزعزعاً مشوّشاً فجعل يخطر مسرعاً ذهاباً واياباً فوق سطح السفينة يجس كما في اليوم السابق مفكّراً في امر مستقبلهِ وهو يردّد هذا القول: ماذا اصنع بعد

ما الجدوى من هذه التربية المتقنة التي نالها في صباهُ ومن هذه الدروس التي زيّن بها عقلهُ وفي صالح مَن يحسُن بهِ ان يصرف قواهُ او ماذا يفعل بهذه التركة الواسعة التي اورثهُ اياها والداهُ ؟

أفيصير كاهناً او مرسلاً ؟ نسمّا الدعوة لولا انّها من الله لا يسوغ للانسان ان يسبق فيها ارادتهُ تعالى

افيقترن بسنّة الزواج ؟ تلك طريقة الناس عموماً ولكن يا بؤسهُ اذا خُدع بالمال او الجمال فوقع بيد امرأةٍ ليس لها من الصفات غير ظاهرها ويكونُ خُبرُها دون خبَرها تقضي عامّة ايامها في الاباطيل تتضجر لزوجها اثقل من العبء الثقيل

أو يبقى وحدهُ معتزلاً عن الاشتغال عاكفاً على العالم متفرّغاً لصنيع الخير الى ذوي جنسهِ ؟ فكانت هذه الافكار وأمثالها كثيرة تجس في ضمائرهِ معكّرة كأس هنائهِ في بقيّة سفرهِ حتّى بلغت السفينة بالركاب الى ميناء بيروت فافاقهُ منظرها البهيّ من سكرتهِ

(تأتي البقيّة)

شتّى

الرخّ والعنقاء

قد اطّلع كثيرٌ من علماء دار السلام - من نصارى وإسلام - على ما ذيّلتم بهِ مقالتي